

الجوانب الشرعية والفقهية لوضع التقويم الإسلامي العالمي*

شمس الأنوار الميداوي

كلية الشريعة جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية، بوكياكرتا، إندونيسيا

ورئيس مجلس الترغيب والتجديد، الجمعية المحمدية، إندونيسيا

الملخص

أصبحت محاولة وضع التقويم الإسلامي العالمي موضع اهتمام كبير لدى الخبراء المسلمين لأسباب منها عالمية رسالة الإسلام وكون التوحيد من شعار الإسلام. هذه المحاولة تدور حولها ثلاث قضايا لا بد من حلها وهي قضية الاعتماد على الحساب أولاً، وقضية نقل إمكان الرؤية إلى كل أنحاء العالم ثانياً، وقضية مفهوم اليوم ثالثاً. ومع ذلك، فالباحث في هذه المقالة يركز اهتمامه على المسألتين الهامتين: مسألة اعتماد الحساب في تحديد أوائل الشهور الإسلامية ومسألة نقل إمكان الرؤية حيث تناول فيها، بالإضافة إلى ذلك، قضية مفهوم اليوم. لم تزل المشكلة في قبول المسلمين الحساب الفلكي كوسيلة لتحديد أوائل الشهور في التقويم الإسلامي قائمة لقلّة إمامهم وعدم سبق تعلمهم أساسيات علم الفلك أو على الأقل علم الفلك الشرعي مهما كانت هناك الإشارات والإرشادات القرآنية والحجج الشرعية التي قد أتى بها العلماء. ولهذا دعا الباحث إلى ضرورة نشر ثقافة

* هذه نسخة منقحة ومزودة مع تصويب الأخطاء الكتابية لأصل البحث المقدم إلى "اجتماع الخبراء الثاني لدراسة وضع التقويم الإسلامي" الذي عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISESCO) بالتعاون مع الجمعية المغربية لعلم الفلك وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبيا)، في الرباط، المملكة المغربية، ١٦-١٥ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق لـ ١٦-١٥ أكتوبر ٢٠٠٨ م.

ومعارف فلكية شعبية وطريقة فهم الدين الإسلامي القائم لا على أساس تفسير الوحي المتلو فحسب، بل كذلك على أساس معرفة واسعة بالوحي المشهود غير المتلو المتمثل في هذا الكون الفسيح إلى فئات الأمة الإسلامية. أما العمل بنقل إمكان الرؤية مقبول عند أكثر العلماء، إلا أنهم اختلفوا في مدى إمكانية وجواز النقل، فالباحث في هذه المسألة يتوقف على الإجابة عن السؤال حول نوع التقويم المنشود.

أ. مقدمة

هناك ثلاثة جوانب هامة في وضع التقويم تتطلب النظر الشرعي والفقهية، أولها مسألة اعتماد الحساب وذلك لأنه يستحيل وضع أي تقويم بدون اعتماد الحساب فهو شرط مطلق لا مفر منه، وثانيها مسألة نقل إمكان الرؤية وذلك لأن الرؤية البصرية الفعلية ينحصر حصولها على بقعة معينة على وجه الأرض ولا تغطي العالم بأسره مع أن وضع التقويم يتطلب نقل إمكان الرؤية إلى كل أنحاء العالم، وثالثها مسألة مفهوم اليوم من أين ومتى يبدأ. في الصفحات التالية يبحث الكاتب المسألتين الأوليين هما مسألة اعتماد الحساب في إثبات الشهر الهجري الجديد، ومسألة نقل إمكان الرؤية من مكان ما من العالم إلى جميع أنحاء.

ب. مسألة اعتماد الحساب في تحديد أوائل الشهور الإسلامية

أول ما يجب أن نتذكره عند الكلام حول التقويم هو أن الغالبية العظمى من المسلمين في العالم حالياً ما زالوا يرون أن الرؤية الفعلية هي الطريقة الصحيحة لتحديد بدايات الشهور الإسلامية خصوصاً ما يتعلق منها بالعبادات، بل إنهم فوق ذلك يعتقدون أن الرؤية جزء من العبادات نفسها بحيث لا يمكن تهميشها وتركها جانباً لأجل الحساب. وهذا معناه ضرورة تعميم وترويج فكرة اعتماد الحساب في تحديد أوائل الشهور إلى جميع فئات المسلمين، ووجوب تطوير الحجج الشرعية التي تستند إليها لكي تصادف قبولاً حسناً لدى أوسع نطاق ممكن من الأمة الإسلامية، إذ نجاح وضع التقويم الإسلامي العالمي – وهو قائم على الحساب الفلكي – لا يتوقف على نجاح الخبراء، فقهاء وفلكيين، في التوصل إلى

صيغة له مضبوطة ومتفق عليها فحسب، بل يتوقف كذلك على مدى استعداد معظم المسلمين لقبول الحساب الفلكي المتمثل في التقويم كوسيلة لتحديد أوائل الشهور الهجرية. ولعل أحد أسباب قلة التقدير للحساب لدى غالبية المسلمين بما في ذلك الفقهاء منهم هو قلة إلمامهم وعدم سبق تعلمهم لأساسيات علم الفلك أو على الأقل علم الفلك الشرعي (وهو ذلك الجزء، من علم الفلك، الذي يتعلق بدراسة حركات النيرين لمعرفة دخول الشهر وأوقات الصلوات وتحديد جهة القبلة) في مرحلة تلقي التعليم في المدرسة أو في الجامعة (مع ملاحظة أن معرفة أحد بعلم الفلك لا تعني بالضرورة قبوله لاعتماد الحساب)، إلى جانب عدم وجود بيانات في المجتمعات الإسلامية تتمتع بانتشار ثقافة علمية فلكية شعبية (*popular astronomical knowledge*). ولذلك فمن الصعب في مثل هذه الظروف أن نتوقع وجود تقدير كاف وموقف إيجابي تجاه الحسابات الفلكية وتطبيقها في المسائل الإسلامية، فإن فاقد الشيء لا يعطي. ومن الصور التي تعكس قلة انتشار المعرفة الفلكية الشعبية لدى المسلمين أنه إذا حدث الكسوف أو الخسوف لا يكون العامة على معرفة بها، لا يفهمون كثيرا ما حقيقتهما وكيف يحدثان، مع أنهما يرتبط بهما جانب من العبادات الإسلامية هو صلاة الكسوفين. والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه قال عنهما ”إنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتوهما فقوموا فصلوا“^١. وإذا كانا من آيات الله كان على المسلمين أن يعرفوا بهما قليلا أو كثيرا، وهذا لا يتأتى إلا بنشر الثقافة الفلكية الشعبية بقدر الكفاية.

إذا نظرنا إلى المؤسسات التعليمية فإننا نجد أن علم الفلك يبدو كأنه حكر على كليات العلوم. أما الكليات الأخرى خصوصا المسؤولة عن تأهيل الفقهاء فهذا العلم أجنبي عنها تماما ولا يمت إلى مناهجها الدراسية بأية صلة، إلا في حالات معدودة حيث وجدت عناية لإدخال أساسيات هذا العلم في عملية التعليم باعتبارها جزءا من مكونات الزاد لكل فقيه لمساعدته في فهم الدين الإسلامي بوجه عام وفهم القرآن والسنة بوجه خاص. ففي إندونيسيا مثلا يشكل علم الفلك الشرعي جزءا هاما من المناهج الدراسية في كليات الشريعة في بعض المعاهد العليا الإسلامية. الغريب وربما لا يصدق القارئ أن كلية الطب بالجامعة

١ رواه البخاري ومسلم، انظر صحيح البخاري (اليمامة-بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧/١٩٨٧)، ج ١: ٣٥٣، الحديث رقم ٤٩٩٤؛ وصحيح مسلم (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢/١٩٩٢)، ج ١: ٤٠٣، الحديث رقم ٢٨ [٩١٥].

المحمدية بيوكياكرتا (*Yogyakarta*) تجعل من علم الفلك إحدى مواد الدراسة الاختيارية التي يمكن للطلبة أخذها، والحجة من وراء ذلك أن طلبة كلية الطب قد يتعهم العكوف على العالم الصغير وهو دقائق جسم الإنسان الذي يشكل موضوع دراستهم، ولذلك يحتاجون إلى نوع من الراحة برفع وجوههم وتوجيهها إلى السماء الواسعة لكي يعرفوا مكانة ذلك العالم الصغير في هذا الكون الكبير.

والنقطة الأساسية التي أريد التأكيد عليها هي ضرورة توسيع انتشار المعرفة الفلكية الأولية لدي الجماهير وتنمية الروح العلمية عند أفراد مجتمعاتنا الإسلامية ونشر طريقة فهم الدين الإسلامي القائم لا على أساس تفسير الوحي المتلو فحسب المتمثل في نصوص القرآن والسنة، بل كذلك على أساس معرفة واسعة بالوحي المشاهد غير المتلو المتمثل في هذا الكون الفسيح، وهذا ليس من أجل إقناع الجمهور لقبول التقويم الإسلامي العالمي القائم على الحساب الفلكي وحده، ولكن فوق ذلك كله مصداقا لما ورد في القرآن من آيات كثيرة تحض على النظر في ملكوت السموات والأرض وما بينهما وفي اختلاف الليل والنهار إذ في ذلك كله كما نبه القرآن إليه آيات لقوم يعقلون.

لذلك، من الأهمية بكثير ترقية مستوى تعليم العلوم الدقيقة والطبيعية في المعاهد التعليمية الإسلامية وإدخال علم الفلك، وعلى الأقل علم الفلك الشرعي، في الكليات المسؤولة عن تأهيل علماء الدين وفقهاء الشريعة، وينشر ثقافة فلكية شعبية (*popular*) وسط جماهير الأمة.

أما عن الحجج الشرعية لاعتماد الحساب فقد تكلم فيها بإسهاب كبار علماء القرن العشرين أمثال السيد محمد رشيد رضا^٢ وأحمد شاکر^٣ ومصطفى الزرقاء^٤، والآخرين من المعاصرين^٥ فلا حاجة لإعادته، إلا أنهم نظروا إلى المسألة بالتركيز على النصوص

٢ رضا، "إثبات شهر رمضان وبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب"، مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد ٢٨، ٢٩ شعبان ١٣٤٥ هـ / ٣ مارس ١٩٢٧م، ص. ٦٣-٧٣، ثم أعيد نشر خلاصته في تفسير المنار (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥/١٤٢٦)، ج: ٢: ١٥١-١٥٣، عند تفسير آخر آيات الصيام.

٣ أحمد شاکر، أوائل الشهور الغربية (مكتبة ابن تيمية).

٤ مصطفى أحمد الزرقاء، العقل والفقه في فهم الحديث النبوي (دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ٢٠٠٣/١٤٢٣)، خصوصا ص. ٩٧-٧١، وفتاوى مصطفى الزرقاء، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٤/١٤٢٥)، ١٥٧-١٦٩.

٥ منهم يوسف القرظاوي، كيف تتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط (هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١/١٤١١)، ص. ١٤٥-١٥٤.

الحديثية، وقليلًا ما حاولوا الغوص في أعماق الإشارات والإرشادات القرآنية حول الحساب واعتماده في ضبط الزمن. وسأشير إلى هذه الإرشادات القرآنية فيما يلي بإيجاز.

نبه القرآن إلى أهمية الزمن في حياة الناس بحيث لو أهملوا الاعتناء بتنظيمه وتساهلوا في ملئه بالأنشطة النافعة لأدى ذلك إلى الفوضى في حياتهم أو الخسران بتعبير القرآن نفسه (سورة العصر). ولكن القرآن لم يكتف بالتنبيه فقط بل وضع أيضا معالم أساسية في كيفية ضبطه وتنظيمه باستلفات الأنظار إلى الأجرام السماوية خصوصا الشمس والقمر، فأخبر أن حركات هذين النيرين قابلة للتنبؤ والحساب لأنها يحكمها قانون ثابت، فقال جل وعلا ”الشمس والقمر بحسبان“ [الرحمن: ٥] وقال ”إنا كل شيء خلقناه بقدر“ [القمر: ٤٩] وقال ”وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى“ [فاطر: ١٣]. الآية الأولى رغم أنها وردت في صورة جملة خبرية لكنها لا تقصد إلى إخبار وإعلام بقابلية حركات هذين الجرمين للحساب والتنبؤ، لأن هذا يعلمه الناس عند وصول حضارتهم إلى التقدم والازدهار، فلا حاجة لله لإخبارهم بذلك. فصيغة هذه الآية من النوع المسمى بالجملة الخبرية ومعناها طلبية ووجود من هذا النوع من الآيات في القرآن الكثير، مثل قوله تعالى ”والوالدات يرضعن أولادهن“ [البقرة: ٢٣٣]، ”والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء“ [البقرة: ٢٢٨]، فهاتان الآيتان لا تخبران عن حالاتهن ولكن تأمران الوالدات بإرضاع أولادهن والمطلقات بالتربص عند وقوع الطلاق. كذلك الآية الخامسة من سورة الرحمن أعلاه فإنها يجب أن تفهم على أنها تأمر بإجراء الحساب لحركات الشمس والقمر لما في ذلك من فوائد كثيرة للناس في حياتهم، وقد بينت الآية الخامسة من سورة يونس إحدى هذه الفوائد وهي أنها وسيلة لتنظيم الزمن وضبط الأوقات، فقال الله في هذه السورة ”هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون“ [يونس: ٥]. من هنا إذن رأينا أن فحوى الآيات القرآنية في أصلها تشير بوضوح إلى العمل بالحساب في قياس الزمن وتحديد موقع اللحظات من مساره لمختلف الأغراض.

في ضوء ما تقدم أرى أن قول بعض المعاصرين "إن الأصل في إثبات الشهر القمري أن يكون بالحساب"^٦ قول غير مبالغ فيه وأنه يتمشى بشكل تام مع المغزى القرآني. أما ما جاء في الأحاديث النبوية من الأمر بالرؤية في تعيين بداية رمضان وشوال فإنه يعد حالة مؤقتة ريثما لم تصل حضارة القوم إلى ما يمكنهم من الوفاء بهذا المغزى القرآني. لذلك كان من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق النبي (ص) تخليصهم من هذه الحالة الأمية عن طريق تنقيفهم وتعليمهم وبناء حضارتهم، كما صرح بذلك قوله تعالى "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [الجمعة: ٢]".^٧

والجدير بالذكر أن الجمعية المحمدية^٨، وهي رائدة في استخدام الحساب والعمل به في تحديد الشهور القمرية في إندونيسيا، تتخذ من الآيتين ٣٩ و ٤٠ من سورة يس أساسا لبناء معايير بداية الشهر القمري. ونص الآيتين هو "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون [يس: ٣٩-٤٠]". تشير هاتان الآيتان إلى ثلاث ظواهر طبيعية يجب لفت الأنظار إليها وذلك بالطبع لما لها من أهمية كبرى، وهي أولا ظاهرة الاقتران وثانيا ظاهرة الأفق وثالثا ظاهرة إدراك القمر للشمس. ظاهرة الاقتران مفهومة، بالاستعانة بعلم الفلك، من الآية ٣٩ التي تتكلم عن دوران القمر حول الأرض وحولها منازل أثناء هذا الدوران إلى أن يصل إلى طور يعرف في علم الفلك بطور المحاق. وتشير الآية ٤٠ إلى تغيير النهار إلى الليل حيث يسبق النهار الليل (لا العكس) ومعلوم أن تبدل النهار إلى الليل يحدث عند

٦ شرف القضاة، "ثبوت الشهر القمري بين الحديث النبوي والعلم الحديث" [http://www. icoproject.org/pdf/sharaf_1999.pdf (تاريخ الاقتراب ١٦-١٢-٢٠٠٧ م)، ص ٨؛ وإسليم والخنجاري، "وقت الفجر كبدائية لليوم والشهر القمري" - http://www.amastro.ma/articles/art-bmk1.pdf، ص ٦، (تاريخ الاقتراب ٢٥-٠٢-٢٠٠٨)؛ والحشاني وأشقيفة، "طريق حساب الشهور القمرية في الجماهيرية" - http://www. amastro.ma/articles/art-lb2.pdf ص ٣ (تاريخ الاقتراب ٢٥-٠٢-٢٠٠٨).

٧ انظر محمد رشيد رضا، "إثبات شهر رمضان"، ص. ٥٢.

٨ تأسست عام ١٩١٢/١٣٣٠ على يد الشيخ أحمد دحلان (ت ١٩٢٣)، وتمثل أقدم الجمعيات الاجتماعية وأكبرها نشاطا في إندونيسيا، ولحد الآن تبعت له ١٦٤ معهدا عاليا (من جامعات وكليات جامعية وأكاديميات) و ١٣٥ مستشفى والمنات من الصيدليات ومراكز الصحة ورعاية الأمهات والأطفال، إلى جانب ملاجئ الأيتام، والألوف المؤلفة من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، وشعارها هو أنها حركة إسلامية للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتجديد، وينتشر أعضاؤها في جميع ربوع إندونيسيا.

غروب الشمس بسبب نزولها إلى تحت الأفق، فالأفق إذن عنصر هام توجه الآية أنظرنا إليه. وأهمية الأفق تكمن في أنه يمثل خطأ لتعيين إدراك القمر للشمس. فمن هاتين الآيتين تستخلص المعايير الثلاثة لبدء الشهر القمري الجديد وهي: أولاً حدوث الاقتران، وثانياً حدوثه قبل تعاقب النهار والليل، وثالثاً إدراك القمر للشمس عند خط الأفق حيث حصل سبق الأول للثاني بأن يكون فوق الأفق عند غروب الشمس. لقد استخدمت الجمعية المحمدية هذه المعايير منذ عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م لتحديد بدايات الشهور الهجرية. أما قبل ذلك فاعتمدت على مبدأ الاقتران قبل غروب الشمس. أسوق هذه المعلومات لإعطاء صورة كيف يستخدم الحساب استدلالاً بالآيات القرآنية، بل حتى معايير دخول الشهر القمري الجديد تستخلص من الإرشادات القرآنية. نعم إذا أمعنا النظر إلى المسألة وجدنا أن هذا الكتاب العزيز يتكلم عن الحساب ويؤكد أهميته لمعرفة الأوقات ولا يكاد يوجد فيه ذكر للرؤية إلا إذا فسرت الآية الـ ١٨٥ من البقرة على أنها تشير إلى الرؤية، ولكن أكثر المفسرين على أن كلمة ”شهد“ في الآية تعني ”حضر“ لا ”رأى بالرؤية البصرية“ وكلمة ”الشهر“ تعني ”الفترة الزمنية التي هي ٢٩ أو ٣٠ يوماً“. وإنما يرد ذكر الرؤية في الأحاديث النبوية فقط.

ج. مسألة العمل بمبدأ نقل إمكان الرؤية

يمكن القول إن العمل بنقل إمكان الرؤية مقبول عند أكثر العلماء، إلا أنهم اختلفوا بعد ذلك في مدى إمكانية وجواز هذا النقل، هل يجوز نقله إلى جميع أنحاء العالم، أو يجوز داخل نصف الكرة الأرضية فقط، أو داخل منطقة أصغر، أو حتى داخل منطقة واقعة غرب خط الطول الواقع على نقطة أقصى الشرق لخط منحنى إمكان الرؤية؟ البحث في هذه المسألة، حسب رأيي، يتوقف على الإجابة عن السؤال حول نوع التقويم الذي ننشده: هل ننشد تقويماً من شأنه أن يوحد العالم بأسره في الدخول في الشهر (التقويم الموحد) أم تقويماً يؤكد على أولوية تفادي دخول مناطق العالم الإسلامي في الشهر مع امتناع أو استحالة الرؤية فيها (تقاويم ثنائية أو متعددة النطاق)؟

نعم، لم ترد في القرآن ولا في السنة نصوص خاصة ترشدنا إلى نوع التقويم الواجب اتخاذه، ولكن الاستدلال على مسألة ما حسب نظرية أصول الفقه، كما يرى الإمام

الشاطبي الغرناطي (ت ١٣٨٨/٧٩٠)، ليس دائما من الضروري أن يكون بأدلة خاصة تعالج المسألة بشكل مباشر، ولكن يمكن كذلك بوجه آخر الأخذ بروح المسألة التي تستخلص استقرائيا من جملة أدلة عامة مختلفة الأغراض منضاف بعضها إلى بعض بحيث تنتظم من مجموعها فكرة عامة واحدة تجتمع عليها تلك الأدلة، مع ما يضاف إلى ذلك كله من قرائن أحوال^٩. بناء على هذا فعلينا أن نأخذ في الاعتبار عند البحث عن نوع التقويم المناسب ما يلي:

(١) إن رسالة الإسلام عالمية بطبيعتها، وقد صرح القرآن بهذا في قوله تعالى ”وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين“ [الأنبياء: ١٠٧]، وطبقا لطبيعة عالمية رسالة الإسلام هذه لا مفر لنا من أن نضع تقويما إسلاميا موحدا كأحد تجلياتها. هذا من ناحية.

(٢) ومن ناحية أخرى، فالتوحيد من شعار ديننا الأساسي، وورد تقرير ذلك في قوله تعالى ”إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون“ [الأنبياء: ٩٢]، وقوله ”وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون“ [المؤمنون: ٥٢]. فسر الإمام الطبري هاتين الآيتين الكريمتين بأنهما تدلان على أن ديننا دين واحد^{١٠}. ويتمثل هذا الشعار مثلا في الإيمان بآله واحد وبقرآن واحد، وفي اتباع شريعة واحدة والاتجاه إلى قبلة واحدة. وامتدادا لهذه الحقيقة يتوجب علينا تجسيد شعار التوحيد هذا في مجال المعاملات بحيث يكون أحد تجلياته توحيد التقويم الإسلامي عالميا.

(٣) كثيرا ما واجه المسلمون المشكلة بشأن صوم عرفة لسبب حدوث الاختلاف في بدء شهر ذي الحجة بين مكة حيث يجري الوقوف للحج وبين البلدان الأخرى. تفاديا لهذه المشكلة يتحتم علينا تفضيل تقويم موحد يشمل العالم بأسره على التقاويم الثنائية أو المتعددة المناطق لكي نتخلص من أمثال هذه المشاكل.

(٤) إننا الآن نعيش في العصر الذي يسمى عصر العولمة والذي يتميز باختفاء الحدود الفاصلة بين الثقافات وبعمق التفاعلات وكثافة الاتصالات بين مختلف البلدان

٩ الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام (بدون مكان النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٤١ هـ)، ج ٢: ٣٣-٣٤.
١٠ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (بدون مكان النشر: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠/١٤٢٠)، ج ١٨: ٥٢٣؛ و ج ١٩: ٤١.

والأماكن حتى أصبح عالماً كأنه قرية عالمية صغيرة واحدة بحيث إذا حدثت حادثة ما في بقعة منه يسمع عنها بقية بقاع العالم بعد دقائق قلائل فقط من حدوثها، وفوق ذلك صار دين الإسلام نفسه متعوّلاً (إن صح هذا التعبير) إذ ما من مكان على وجه الأرض إلا ويوجد فيه مسلم أو مسلمة أو جاليات إسلامية. هذا أيضاً من العوامل التي تقتضي منا التعويل على التقويم الموحد الشامل لكافة البقاع.

٥) توحيد التقويم الإسلامي عالمياً يشكل جزءاً من المحاولات في الحفاظ على حسن سمعة هذا الدين وأمة وتعزيز تماسك صورة الإسلام أمام المجتمع الدولي كما صرحت بذلك القمة الإسلامية بـدكار^{١١} مؤخراً.

بناء على الاعتبارات السابقة يتضح أن التقويم الموحد هو الخيار المعقول والمنطقي الذي يتوجب المصير إليه. إذا كان الأمر كذلك اقتضت الحاجة إلى تجويز العمل بنقل إمكان الرؤية إلى كافة أرجاء العالم، إذ هذا هو الوسيلة التي تمكننا من بناء نظام موحد لقياس الزمن وتنظيم جداول التوقيت. من وجهة النظر الفقهي يمكن وضع مسألة العمل بنقل إمكان الرؤية إلى جميع العالم ضمن مقتضيات القاعدة الفقهية التي تنص على أن "للسائل حكم المقاصد"^{١٢}. إذا سلمنا، استلهاماً من الآية الـ ٥ من سورة الرحمن والآية الـ ٥ من سورة يونس، أن الروح القرآنية تقتضي أن نقوم بحساب حركات الشمس والقمر لضبط الزمن وتنظيم جداول التوقيت، أو باختصار لوضع التقويم، وأن هذا التقويم لا بد أن يكون موحداً شاملاً للعالم كله لأدلة تقدم إيرادها، ولا يمكننا تحقيق مثل هذا التقويم إلا بقبول مبدأ جواز العمل بنقل إمكان الرؤية عالمياً، فإن قبول هذا المبدأ مطلوب.

كما يمكن القول إن الأصل الشرعي لهذا المبدأ هو عموم قول النبي (ص) "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته"^{١٣}، فالأمر في هذا الحديث وأحايت أخرى مشابهة ببدء الصوم عند حصول الرؤية عام لجميع المسلمين دون تخصيص أهل بلد معين بالرؤية الحاصلة عندهم فحسب، فهذا الحديث خطاب موجه إلى كافة الأمة بمعنى أنه يجب عليهم جميعاً بدء الصيام

١١ "إعلان داکار" المنبثق عن القمة الإسلامية في العاصمة السنغالية ١٣-١٤ مارس ٢٠٠٨، <http://www.oic-oci.org/oicnew/is11/arabic/DAKAR-DEC-11SUMMY-A.pdf> (الاقتراب ٠٦-٠٩-٢٠٠٨)، ص ٥.

١٢ ابن القيم، *إعلام الموقعين عن رب العالمين* (بيروت: دار الفكر، ٢٤٢٤/٢٠٠٣)، ج ٣: ١٠٣. ١٣ رواه جماعة أهل الحديث، واللفظ للبخاري في صحيحه (الإمامة-بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧/١٩٨٧)، ج ٢: ٦٧٤، ج ٧: ١٩٤.

إذا حصلت الرؤية من أحدهم في أي مكان من العالم، وليس مراده كما قال البعض "أن الذي عمت دلالاته في هذا الحديث هو وجوب الرؤية (في غياب أي وسيلة أخرى) لإثبات دخول الشهر وليس تعميم دخول الشهر على أهل الأرض جميعاً". بل على العكس من ذلك يمكن أن يفهم من الحديث تعميم دخول الشهر على جميع المسلمين في كل أرجاء الأرض وذلك لأن فعل الأمر في هذا الحديث تتبعه واو الجمع مما يعني أن الخطاب فيه عام وموجه إلى جميع الأمة في أي مكان وجدوا. أما حديث كريب فليست فيه دلالة صريحة في عدم لزوم رؤية أهل بلد آخر إذ لم يأت ابن عباس بصريح لفظ النبي (ص) وإنما يرد في الحديث فهمه للسنة النبوية واجتهاده في المسألة. كما يمكن أن يقال عن هذا الحديث أنه معلول بكون الأمة في ذلك العصر أمية وبمشكلة عدم أو قلة معرفة الناس آنذاك بالحساب الفلكي. أما نحن اليوم فقد تغيرت أحوالنا بحيث بلغ تطور علم الفلك في زماننا شأواً بعيداً مما يمكننا من معرفة سلوك وحركات الأجرام السماوية خصوصاً النيرين بدقة تكاد تكون تامة وتعطينا منظوراً أوسع للتغلب على المشكلة، كما وصل تطور وسائل الاتصال في هذا العصر لغاية أننا نستطيع معرفة خبر أمر ما في نفس ساعة وقوعه. فعلى هذا الأساس نرجح عموم حديث "صوموا لرؤيته" على حديث كريب، ونعتبر الثاني (حديث كريب) لا يقوم مخصصاً لعموم الأول (حديث "صوموا لرؤيته").

وإذا نظرنا إلى نصوص الفقهاء وجدنا أن القول بنقل الرؤية "ليس بدعا من الأقوال الفقهية"، فقد ذهب إليه عدد من فقهاءنا القدامى. ففي فتاوى ابن تيمية ما يشير إلى أنه لم يأخذ باختلاف المطالع، بل واعتبر القول بتحديد نقل الرؤية داخل مسافة معينة كمسافة القصر أو داخل الأقاليم المعينة قولاً ضعيفاً، لأن مسافة القصر، حسب تعبيره، لا علاقة لها بالهلال وأن الأقاليم ليست لها حدود يمكن اعتبارها، وقال رحمه الله ملخصاً لكلامه "الصواب في هذا... أنه إذا شهد شاهد ليلة الثلاثين من شعبان أنه رآه بمكان من الأمكنة قريب أو بعيد وجب الصوم... وأن الاعتبار ببلوغ العلم بالرؤية في وقت يفيد"^{١٤}

المذهب الحنفي، على ما في "ظاهر الرواية" وما عليه الفتوى وأكثر مشايخ المذهب، صريح في عدم اعتبار المطالع وفي قبول مبدأ نقل الرؤية عالمياً. قال ابن نجيم المصري (ت ١٥٦٤/٩٧١) "لا عبرة باختلاف المطالع فإذا رآه أهل بلدة ولم يره أهل بلدة

١٤ ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية (دون مكان النشر: مكتبة ابن تيمية، دت)، ج ٢٥: ١٠٥-١٠٦.

أخرى وجب عليهم أن يصوموا بروية أولئك إذا ثبت عندهم بطريق موجب، ويلزم أهل المشرق بروية أهل المغرب... وهو ظاهر الرواية وهو الأحوط، كذا في فتح القدير، وظاهر المذهب وعليه الفتوى، كذا في الخلاصة^{١٥}. وجاء في فتح القدير: ”وإذا ثبت في مصر لزم سائر الناس فيلزم أهل المشرق بروية أهل المغرب في ظاهر المذهب“^{١٦}. كما ورد في مجمع الأنهر: ”وإذا ثبت [أي الهلال] في موضع لزم جميع الناس ولا اعتبار باختلاف المطالع حتى قالوا لو رأى أهل المغرب هلال رمضان يجب برويتهم على أهل المشرق إذا ثبت عندهم بطريق موجب“^{١٧}. وقال ابن عابدين (ت ١٢٥٢/١٨٣٦) وهو من متأخري الحنفية: ”وظاهر الرواية الثاني، أي لا يعتبر اختلاف المطالع، بل يجب العمل بالأسبق روية حتى لو رئي في المشرق ليلة الجمعة وفي المغرب ليلة السبت وجب على أهل المغرب العمل بما رآه أهل المشرق“^{١٨}، وهو المعتمد عندنا... لتعلق الخطاب عاما بمطلق الروية في حديث صوموا لرويته“^{١٩}. وفي المذهب الشافعي قول يمثل هذا كما حكاه النووي في شرح صحيح مسلم حيث يقول: ”وقال بعض أصحابنا تعم الروية في موضع جميع أهل الأرض“^{٢٠}. ومعنى كون الروية في موضع تعم جميع أهل الأرض يستلزم نقل إمكانها من مكان ما من العالم إلى جميع أجزائه وليس مجرد نقل الروية الفعلية. امتدادا لما قاله هؤلاء الفقهاء وانطلاقا منه يمكننا أن نقول إنه لا مانع فقها من الأخذ بمبدأ نقل إمكان الروية.

مما يجدر التأكيد عليه في صدد وضع التقويم هو نقل إمكان الروية وليس بنقل الروية الفعلية التي تم حصولها، وذلك لأن إمكانية نقل الروية الفعلية محدودة، فأقصى ما يمكن نقلها إليه هو منطقة في جهة الشرق الفارق الزمني بينها وبين المكان المنقول عنه في جهة الغرب لا يتجاوز تسع ساعات. فمثلا إذا حدثت الروية الفعلية في المغرب في الساعة

١٥ ابن نجيم، البحر الرائق (بيروت: دار المعرفة، دت)، ج ٢: ٢٩٠.

١٦ السيواسي، شرح فتح القدير (بيروت: دار الفكر، دت)، ج ٢: ٣١٣.

١٧ شخبي زاده، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨/١٤١٩)، ج ١: ٣٥٢.

١٨ ما قاله ابن عابدين هذا عكس ما أثبتته علم الفلك، إذ من الناحية الفلكية سوف تتحسن إمكانية الروية كلما يبتعد موضع الراصد نحو الغرب.

١٩ ابن عابدين، حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠/١٤٢١)، ج ٣: ٣٩٣.

٢٠ النووي، شرح صحيح مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢)، ج ٧: ١٩٧.

السابعة مساء فأقصى مناطق الشرق الذي يمكن نقلها إليه هو شرق إندونيسيا بحيث يكون الفارق الزمني بينهما تسع ساعات ولا يمكن نقلها إلى ما وراء ذلك لأن الناس فيه سيدركهم الفجر. فعليه لا يمكن اعتماد نقل الرؤية الفعلية كهذه، لأن التقويم الإسلامي العالمي الموحد يتطلب نقل الرؤية لمدة أكثر من عشرين ساعة، من منطقة أقصى الغرب إلى منطقة أقصى الشرق. لنأخذ مثالا لذلك شهر شوال ١٤٤٨ هـ (مارس ٢٠٢٧ م). تمكن الرؤية (رؤية المستوى الثاني حسب معيار عودة) مساء الاثنين في أرخبيل هاواي بما في ذلك العاصمة هونولولو (ذات الإحداثيات: $\lambda = 157^{\circ} 56'$ غربا، و $\varphi = 21^{\circ} 19'$ شمالا، التوقيت = توقيت عالمي - ٩). يقع الاقتران يوم الاثنين ٨ مارس ٢٠٢٧ م على الساعة ٣٠:٠٠ بتوقيت هونولولو المحلي الموافقة للساعة ٠٩:٣٠ بالتوقيت العالمي. يرتفع القمر فوق الأفق مساء الاثنين بـ "٤٨' ٢٤' ٧+، ويمكن بعد غروب الشمس في الساعة ٣٩:١٩ بالتوقيت المحلي لمدة ٣٧ دقيقة لأنه يغرب في الساعة ١٥:٢٠ بالتوقيت المحلي. هذا معناه أن سكان هاواي يبدؤون شهر شوال يوم الثلاثاء ٩ مارس ٢٠٢٧ م.

هذه الرؤية التي يدل الحساب على إمكان حصولها مساء الاثنين ٨ مارس ٢٠٢٧ م في هاواي تنقل إلى منطقة أقصى الشرق (منطقة توقيت عالمي زائد ١٢ ساعة أو حتى ١٤ ساعة)، ومثلا إلى مدينة ويلنجتون (*Wellington*) العاصمة النيوزيلندية الواقعة في منطقة التوقيت العالمي + ١٢ ساعة. ولذلك يبدأ مسلمو نيوزيلندا غرة شوال ١٤٤٨ ويحتفلون بالعيد يوم الثلاثاء بناء على رؤية مساء الاثنين في هونولولو المنقولة إليهم. يحتاج هذا النقل إلى واحدة وعشرين ساعة، بحيث عندما تحصل الرؤية الفعلية في هونولولو مساء الاثنين حوالي الساعة ٢٠:٠٠ تكون الساعة في العاصمة النيوزيلندية ١٧:٠٠ مساء الثلاثاء. لذلك لا يمكن للمسلمين النيوزيلنديين انتظار إعلان حصول الرؤية الفعلية في هونولولو لأنهم وقتئذ سيكونون قد دخلوا في المساء بينما يجب أن يقرروا، قبل فجر الثلاثاء (حول الساعة ٠٤:٠٠ في ويلنجتون والساعة ١١:٠٠ من يوم الاثنين في هونولولو)، ما إذا كانوا سيكملون رمضان ثلاثين أم سيفطرون ويؤدون صلاة العيد صباح ذلك اليوم. هذا معناه أن نقل الرؤية ليس نقل رؤية فعلية حصلت، بل نقل رؤية دل الحساب على أنها ستحصل فيما بعد، وهذا هو نقل إمكان الرؤية.

كيف وضع القمر عند غروب الشمس مساء الاثنين ٨ مارس ٢٠٢٧ في العاصمة النيوزيلندية ويلنجتون؟ حسب توقيت هذه المدينة، يقع الاقتران بعد المغرب في الساعة ٢١:٣٠ ليلة الثلاثاء (=٣٠:٠٩ بالتوقيت العالمي)، وارتفاع القمر عند الغروب مساء الاثنين في ويلنجتون هو ”١٦ ٤٢ ٤٠-، ويغرب قبل الشمس بـ ٣٢ دقيقة. هل يمكن قبول دخول مسلمي نيوزيلندا في شهر شوال ١٤٤٨ هـ بمثل هذه الأوضاع الهندسية للقمر؟ من أجل توحيد التقويم الإسلامي لا مفر لنا من قبوله ما دام يحدث الاقتران عندهم قبل منتصف الليل أو حتى قبل الفجر في منطقة التوقيت العالمي + ١٤ ساعة، ولا سبيل لنا إلى تحقيق أمنا في توحيد التقويم إلا بالتسليم بمثل هذه الأوضاع. لذلك يتضح أن توحيد التقويم الإسلامي عالمياً يتطلب جمع معيارين في آن واحد: معيار إمكان الرؤية ومعيار الاقتران قبل منتصف الليل أو قبل الفجر المعمول به حالياً عند إخواننا الليبيين. المعيار الأول، معيار إمكان الرؤية، مطبق بالنسبة لمنطقة أقصى الغرب، والمعيار الثاني، معيار الاقتران قبل منتصف الليل أو قبل الفجر، مطبق بالنسبة لمنطقة أقصى الشرق.

هذه نقطة لا شك يحتم النقاش حولها. يرى البعض أن الدخول في الشهر الجديد بمثل هذه الأوضاع غير مقبول لأنه يضحى بمبدأ إمكان الرؤية في الكثير من بقاع العالم الإسلامي. يقول الأستاذ عودة ”من غير المقبول من الناحية الشرعية والعلمية بدء الشهر الهجري ورؤية الهلال مستحيلة في العديد من أجزاء العالم الإسلامي، فحتى أنصار الحسابات الفلكية التي تعتمد الاقتران وتلغي الرؤية لا يقبلون بمثل هذا الطرح“^{٢١}. تفادياً لبدء الشهر عند استحالة الرؤية بالنسبة للعديد من المناطق داخل العالم الإسلامي، اقترح عودة تقسيم العالم إلى منطقتين تقويميتين حيث يمكن اختلاف التاريخ، في شهر معين، فيما بين المنطقتين. وبذلك يضحى بمبدأ التوحيد من أجل الرؤية، ويرى ”أنه من غير الممكن إعداد تقويم هجري واحد للعالم بأسره دون إحداث خلل كبير في بداية الشهر الهجري في العديد من مناطق العالم الإسلامي“^{٢٢}.

٢١ عودة، ”تطبيقات تكنولوجيا المعلومات لإعداد تقويم هجري عالمي“، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لتوحيد التقويم الإسلامي العالمي، جاكارتا، إندونيسيا، ٤-٦ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧ م الموافق ٢٤-٢٢ شعبان ١٤٢٨ هـ، ص ٨.
٢٢ نفس المرجع.

حدوث الخلل أو عدمه يتوقف على المعايير المطبقة في التقييم. إذا كان المعيار هو إمكان الرؤية في العالم الإسلامي فيمكن القول إن إعداد تقويم واحد للعالم بأسره سوف يحدث خلافا في بداية الشهر الهجري في العديد من مناطق العالم الإسلامي. أما إذا كان المعيار الاقتران قبل منتصف الليل أو قبل الفجر بالنسبة لمنطقة أقصى الشرق فلا يحدث الخلل المذكور. الواقع أنه حتى التقويم المبني على تقسيم العالم إلى منطقتين كالتقويم الهجري العالمي والذي يصر على تفادي بدء الشهر الجديد والرؤية مستحيلة أو ممتنعة في العالم الإسلامي يقع فيما يحاول تجنبه. مثال ذلك بداية شهر جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ. يقع الاقتران يوم الاثنين ٥ مايو (أيار) ٢٠٠٨ م على الساعة ١٢:١٨ بالتوقيت العالمي. دل منحنى إمكان الرؤية الذي يظهره برنامج المواقيت الدقيقة على وجود منطقة صغيرة في النطاق الشرقي هي بريطانيا تمكن فيها الرؤية بالمرقب فقط، فذلك أوقع التقويم الهجري العالمي للنطاق الشرقي بداية شهر جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ على يوم الثلاثاء ٦ مايو ٢٠٠٨ م^{٢٣}، مع أن الرؤية مساء الاثنين ٥ مايو ٢٠٠٨ م ممتنعة من مناطق العالم الإسلامي قاطبة، بل ومستحيلة في الثلث الجنوبي من أفريقيا وفي الهند وما وراءها إلى أقصى الشرق بما في ذلك بنجلاديش وماليزيا وإندونيسيا وبروناي التي يغرب القمر فيها جميعا قبل غروب الشمس. المثال الآخر بداية شهر جمادى الثانية ١٤٣٢ هـ. يقع الاقتران يوم الثلاثاء ٣ مايو (أيار) ٢٠١١ م على الساعة ٠٦:٥١ بالتوقيت العالمي. دل منحنى إمكان الرؤية الذي يظهره برنامج المواقيت الدقيقة على وجود منطقة صغيرة في النطاق الشرقي هي البرتغال وغرب بريطانيا تمكن فيهما الرؤية بالمرقب فقط، فذلك أوقع التقويم الهجري العالمي للنطاق الشرقي بداية شهر جمادى الثانية ١٤٣٢ هـ على يوم الأربعاء ٤ مايو ٢٠١١ م^{٢٤}، مع أن الرؤية مساء الثلاثاء ٣ مايو ٢٠١١ م ممتنعة من جميع مناطق العالم الإسلامي، بل ومستحيلة في أفريقيا الجنوبية وفي بروناي ومعظم إندونيسيا وما وراءها إلى الشرق حيث يغرب القمر فيها جميعا قبل غروب الشمس.

٢٣ عودة، "Universal Hejric Calendar (UHC): Eastern Region" منشور في http://www.icoproject.org/uhc_east.html (تاريخ الاقتراب ١٢-٢٢-٢٠٠٧).

٢٤ نفس المرجع.

نقطة أخرى في ضعف هذا التقويم [مع كامل تقديرنا لجهود ومساهمات واضع هذا التقويم] تتجلى في عدم قدرته على تقديم الحل المناسب لمشكلة صوم عرفة الناجمة من حدوث اختلاف في التاريخ، في سنة معينة، بين المنطقتين التقويمييتين الشرقية والغربية. فخير مثال لهذه الحالة هو عام ١٤٣٣ هـ الموافق لعام ٢٠١٢ م حيث سوف تبدأ القارة الأمريكية (النطاق الغربي) حسب التقويم الهجري العالمي للنطاق الغربي بداية شهر ذي الحجة لتلك السنة يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢م، إذ تمكن الرؤية مساء الاثنين ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢م في الطرف الجنوبي من أمريكا اللاتينية. أما المنطقة التقويمية الشرقية (قارات أفريقيا وأوروبا وآسيا وأستراليا / النطاق الشرقي) فتمتتع الرؤية في الجزء القليل منها (جنوبي أفريقيا) وتستحيل في بقية أجزائها مما يقتضي تأجيل التاريخ في هذا النطاق الشرقي بيوم، أي سيقع فاتح ذي الحجة هنا على يوم الأربعاء ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢. هذا معناه أن يوم عرفة، ومن ثم الوقوف بعرفات، سيقع في النطاق الشرقي يوم الخميس ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢. السؤال إذن متى يصوم مسلمو مدينة بوسطن الأمريكية مثلا يوم عرفة: هل يصومونه يوم الخميس حسب وقوع الوقوف فعلا بعرفات ولكن هذا لا يمكن لأن الخميس هو يوم العيد حسب تقويم النطاق الغربي ولا يجوز الصوم يوم العيد، أو يصومونه يوم الأربعاء وهو يوم تاسع ذي الحجة حسب تقويمهم ولكن هذا لا يمكن أيضا لأن مكة، حين يبدأ مسلمو النطاق الغربي صومهم في فجر الأربعاء، ما زالت في نفس اليوم ولم يقع الوقوف فيها بعد لأن الوقوف سيقع غدائه. من هذا يتضح أن التقويم الهجري العالمي لا يعطي حلا منشودا لمشكلة صوم عرفة التي يسببها اختلاف وقوع بداية ذي الحجة بين الشرق والغرب، ولهذا السبب فإن التقويم الثنائي النطاق يصعب قبوله، لأنه يؤدي في حالة معينة إلى الفوضى في أداء بعض العبادات كما سبق، والحل الممكن هو توحيد التقويم الإسلامي في العالم بأسره.

ذهب بعض العلماء في مواجهة هذه المشكلة إلى رفض المفهوم التقليدي لليوم المعرف على أساس حظ التاريخ الدولي بحيث يبدأ في منتصف الليل من خط الطول ١٨٠°، وقالوا لا علاقة لهذا المفهوم لليوم بالمفهوم الشرعي له. بدلا من تعريف اليوم على أساس خط التاريخ الدولي المعروف، ابتكروا نوعا آخر من الخط يسمى بخط التاريخ القمري الدولي (*International Lunar Date Line / ILDL*) وعرفوا اليوم على

أساسه، ورائد هذه الفكرة هو محمد إلياس، العالم الفلكي الماليزي الذي يكرس جميع حياته العلمية للبحث في مسألة التقويم الإسلامي العالمي منذ أكثر من ثلاثين عاماً. وخط التاريخ القمري الدولي هذا عبارة عن خط قطعي مكافئ أو شبه قطعي مكافئ ممتد نحو الشرق يمثل خط منحنى إمكان الرؤية. وهذا الخط إذا شق دولة يمر عليها جُزَّ نحو الشرق موافقا للحدود الشرقية للدولة المعنية^{٢٥}. وبما أن هذا النوع من خط التاريخ الدولي المنحني الشكل معقد بعض الشيء وينشئ مشكلة في تطبيقه يصار إلى إمكان تبسيطه، وإحدى صور التبسيط المقبولة هي تغييره إلى خط مستقيم رأسي، مع مراعاة الحدود الشرقية للدول التي يخترقها، ويوقع على نقطة أقصى الشرق لخط منحنى إمكان الرؤية حتى يكون أكثر عملية ويشبه خط التاريخ الدولي، ويتغير مكان ظهور هذا الخط من شهر هجري إلى شهر هجري آخر^{٢٦}. فالיום الشرعي الذي يحتفل فيه بالمناسبات الدينية يبدأ من هذا الخط ويتحرك نحو الغرب لمدة ٢٤ ساعة بالنسبة لكل مكان حتى يصل إلى نفس الخط من جديد بغض النظر عن حدوث تغيير اليوم التقليدي بسبب اجتياز هذا اليوم الشرعي خط التاريخ الدولي. واضح أن التقويم المبني على هذه الفكرة لا يعمد إلى إعداد تقويم واحد للعالم بأسره من منظور المفهوم التقليدي لليوم والذي يمثل واقعا ملموسا لا يقبل الإنكار.

ذهب الأستاذ شرف القضاة إلى نحو رأي محمد إلياس المتقدم، وقال استدلالا بحديث كريب^{٢٧}، وهو الحديث الوحيد بخصوص هذا الموضوع حسب رأيه، إن رؤية الهلال في منطقة تعد رؤية للبلاد الواقعة على خط الطول نفسه وللبلاد الواقعة غربه، فيبدأ الشهر الجديد فيها في تلك الليلة وغداتها، بينما يؤجل بيوم في البلدان الواقعة شرق الخط. ورفض الأستاذ دخول جميع العالم في الشهر الجديد برؤية حصلت في مكان ما منه، أي

^{٢٥} إلياس، *The Quest for A Unified Islamic Calendar* [بينانج Penang]، ماليزيا: برنامج التقويم الإسلامي العالمي، (٢٠٠٠)، ص ٤٣.

^{٢٦} إلياس، *A Modern Guide to Astronomical Calculations of Islamic Calendar*, Times *Qibla* (كوالا لومبور: برينتا بابليشينج [Berita Publishing]، (١٩٨٤)، ص ١٢٥.
^{٢٧} رواه جماعة "عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم ذكر الهلال فقال متى رأيت الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال أنت رأيته؟ فقلت نعم ورأه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا تزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت أو لا تكنفي بروية معاوية وصيامه؟ فقال لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، [اللفظ للإمام مسلم، صحيح مسلم (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢/١٩٩٢)، ج ٢: ٤٨٤، حديث رقم ١٠٨٧].

رفض مبدأ نقل إمكان الرؤية عالميا، وصرح بأن هذا الأخير ليس له دليل شرعي يدل عليه ويتعارض مع حديث كريب^{٢٨}. الواقع أن رأي الأستاذ شرف القضاة يقوده إلى قبول نقل إمكان الرؤية بصفة محدودة وهو نقله من داخل منحنى إمكان الرؤية إلى مناطق خارجه واقعة غرب الخط (ونسئمه اختصارا بخط التاريخ).

لا نرى أن حديث كريب هو الحديث الوحيد في مسألة اختلاف المطالع، ومن الممكن أن يُربط عموم أحاديث الرؤية، كما سبق، بهذه المسألة، وقد استدلت بها علماء الحنفية على عدم العبرة باختلاف المطالع. كان حديث كريب يمثل محاولة من قبل فقهاء الصحابة لتقديم حل للمشكلة التي واجهتهم، حل في ذلك الزمن يناسب الفضاء المعرفي الثقافي والأوضاع التاريخية الاجتماعية التي تحيط بها محدودية توفر المعارف العلمية لفهم ظواهر الطبيعة كمطالع القمر. لذلك يعتبر الحل الوارد في الحديث حلا معلولا بعلّة قلة انتشار المعرفة الفلكية وصعوبة الاتصال فيما بين المدن المتباعدة كدمشق والمدينة. وهذا تماما مثل ما يقال عن حكم الرؤية الوارد في أحاديث الرؤية أنه معلول بنفس العلة وهي كون الأمة أمية بحيث يقل توفر مهارة الحساب والكتابة لديهم. لا يمكن الاستناد إلى هذا الحديث في مسألة ذات أهمية بالغة كوضع التقويم.

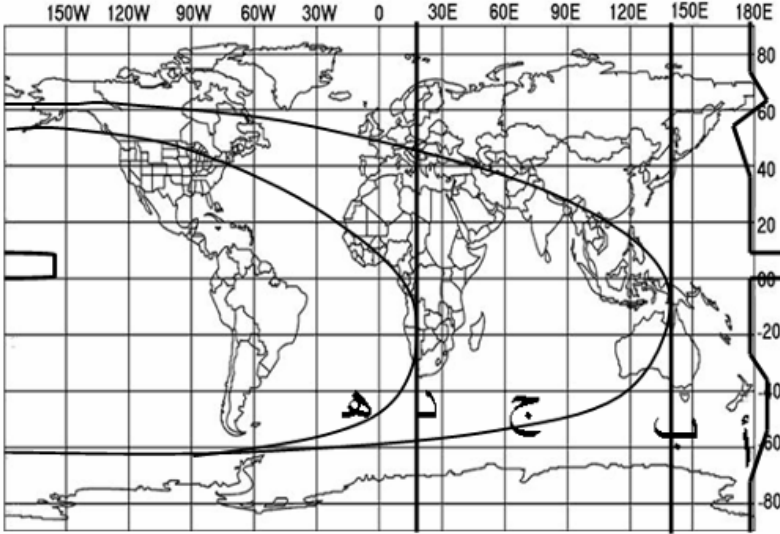
إيقاع خط التاريخ على نقطة أقصى شرق منحنى إمكان الرؤية كما اقترحه الأستاذ شرف القضاة سوف يؤدي إلى عدم تناسق داخلي للتقويم الموضوع على أساس هذا الرأي عند حلول شهر جديد، بحيث سوف تنشأ الازدواجية في التقويم في الشهر اللاحق إذا ظهر خط تاريخه غرب خط تاريخ الشهر السابق، وبالتالي يكون عمر الشهر بالنسبة للمناطق الواقعة بين الخطين (بين خط الباء وخط الدال في الرسم ١ أدناه) ثلاثين يوما والنسبة لبقية المناطق تسعة وعشرين يوما. هذا معناه أنه سيختلف التاريخ بين المنطقتين في الشهر اللاحق، والسبب في هذا ما هو إلا انتقال ظهور خط التاريخ من شهر إلى آخر.

توضيحا لهذه الحالة، لنأخذ شهري رمضان وشوال عام ١٤٣٨ هـ مثالا لها. يدل الحساب بظهور خط التاريخ لشهر رمضان ١٤٣٨ هـ على خط الطول ١٣٥٠ شرقا، ويحدث الاقتران يوم الجمعة ٢٦ مايو (أيار) ٢٠١٧ م على الساعة ٤٥:٠٤ حسب توقيت

٢٨ شرف القضاة، "ثبوت الشهر القمري"، ص. ٢٥-٢٧.

شرق إندونيسيا (التوقيت العالمي + ٩ ساعة)، وتقع على خط الطول المذكور أستراليا وإندونيسيا واليابان وروسيا، فهذه الدول وما إلى جهة غرب الخط سوف تبدأ اليوم الشرعي الجديد وهو فاتح رمضان ١٤٣٨ هـ في يوم السبت ٢٧ مايو (أيار) ٢٠١٧ م. ويبدأ هذا اليوم الشرعي الجديد (وهو السبت ١ رمضان ١٤٣٨ هـ) من غروب شمس مساء الجمعة إلى غروب شمس مساء السبت ويتحرك إلى جهة الغرب لمدة ٢٤ ساعة بالنسبة لكل مكان على حدة ٤٨ ساعة بالنسبة لجميع العالم حتى يصل إلى نفس الخط من جديد بغض النظر عن اجتياز خط التاريخ الدولي الواقع على خط الطول ١٨٠° حيث لا يحدث تغيير في اليوم الشرعي عنده حتى إن الدول الواقعة بينه وبين خط تاريخ رمضان ١٤٣٨ هـ ما زالت في يوم السبت الشرعي. وفي الشهر الهجري التالي (شوال) يظهر خط التاريخ غرب خط التاريخ السابق (رمضان) وهو على خط الطول ١٤٠° شرقاً، وتقع عليه دولٌ كناميبيا وأنجولا في جنوب أفريقيا والجمهورية الليبية في شمالها وكذلك عدد من دول أوروبا، والرسم ١ يبين هذا كله. يقع الاقتران يوم السبت ٢٤ يونيو (حزيران) ٢٠١٧ م على الساعة ٠٢:٣١ بالتوقيت العالمي الموافقة للساعة ١١:٣١ بتوقيت شرق إندونيسيا.

في مساء يوم التاسع والعشرين من رمضان [مساء يوم الاقتران السبت ٢٤ يونيو (حزيران) ٢٠١٧ م] دل الحساب على عدم إمكان الرؤية في المناطق الواقعة على خط الباء وهو خط تاريخ الشهر السابق (رمضان ١٤٣٨ هـ) وغربه وصولاً إلى ما قبل خط الدال وهو خط تاريخ الشهر اللاحق (شوال ١٤٣٨ هـ) مع إمكانها في الدول الواقعة على هذا الخط الأخير وعلى غربه. ومعنى ذلك أن الدول الواقعة بين خط التاريخ السابق وخط تاريخ الشهر اللاحق (بين خطي ب و د في الرسم ١) سوف تكمل رمضان ثلاثين يوماً وسوف تبدأ اليوم الشرعي الجديد وهو فاتح شوال ١٤٣٨ هـ يوم الاثنين ٢٦ يونيو (حزيران) ٢٠١٧ م. أما الدول التي يخترقها خط د وهو خط تاريخ الشهر اللاحق (شوال) والدول التي تقع غربه، كالمغرب، سوف تبدأ اليوم الشرعي الجديد (فاتح شوال ١٤٣٨ هـ) يوم الأحد ٢٥ يونيو (حزيران) ٢٠١٧ م، وبذلك تصوم هذه الدول رمضان ١٤٣٨ هـ تسعة وعشرين يوماً، وهنا يحدث الاختلاف في دخول اليوم الشرعي الجديد وهو غرة شوال ١٤٣٨ هـ. وإذا حدث هذا عند الدخول في شهر ذي الحجة في عام معين نجمت بلا شك مشكلة يوم صوم عرفة، كما مر.



الرسم ١: خطوط التاريخ.

(١) خط أ هو خط التاريخ الدولي الواقع على خط الطول 180° ، (٢) الخط الرأسي ب هو خط تاريخ رمضان ١٤٣٨ هـ، (٣) منحنى ج هو منحنى إمكان رؤية رمضان ١٤٣٨ هـ (الرؤية من المستوى الثاني حسب معيار عودة)، (٤) الخط الرأسي د هو خط تاريخ شوال ١٤٣٨ هـ، (٥) منحنى هـ هو منحنى إمكان رؤية شوال ١٤٣٨ هـ (الرؤية من المستوى الثاني حسب معيار عودة).

اتضح مما تقدم أن النظرية القائمة على خط التاريخ المتغير كما اقترحه إلياس وشرف القضاة غير صالحة لنجعل منها أساسا لوضع التقويم الإسلامي العالمي، لأنها تعامل نفس الشهر معاملة مختلفة فيما بين المنطقتين المختلفتين، تعطي شهرا معينا العمر الأطول داخل منطقة معينة وتعطي الشهر نفسه العمر الأقصر في منطقة أخرى. فهذه النظرية لا توحد التقويم وبالتالي لا تقدم لنا حلا نخرج به من المعضلات التي واجهتنا وما تزال تواجهنا اليوم.

والحقيقة المبينة أعلاه تنبهنا أيضا إلى أمر بالغ الأهمية في المحاولات لوضع التقويم، وهو ضرورة اعتماد خط تاريخ ثابت، ولا يمكن أن يوضع في مكان غير المكان نفسه الذي وضع فيه خط التاريخ الدولي المعتمد عليه عالميا في الوقت الحالي، لأنه إذا

وضع في مكان آخر سوف تتجم المشكلة كما قدمنا فيما مر، وهي حدوث الاختلاف في بدء الشهر الجديد بين المناطق الممتدة من خط التاريخ الدولي إلى خط تاريخ قمري يظهر في مكان ما وبين بقية مناطق العالم.

د. الملاحظات الأخيرة

(١) دعت الضرورة إلى نشر ثقافة ومعارف فلكية شعبية (*popular*) إلى مختلف فئات الأمة ليست فقط لأجل دعم إيجاد تقويم إسلامي عالمي مضبوط، بل كذلك مصداقا للإشارات القرآنية التي تحرض على النظر في الكون لتثبيت الإيمان بالخالق سبحانه، وإلى إدخال علم الفلك الشرعي في المناهج الدراسية للمعاهد الإسلامية المسؤولة عن تأهيل الفقهاء ورجال الدين.

(٢) علينا أن نولي اهتمامنا لوضع تقويم هجري قمري يوحد العالم أجمع بمبدأ "تاريخ واحد ليوم واحد ويوم واحد لتاريخ واحد" لأسباب منها عالمية رسالة الإسلام، وكون التوحيد من شعار ديننا الأساسي، وضرورة إيجاد حل لمشكلة صوم عرفة، وعملية العولمة التي نعيشها حالياً والتي سار عليها الإسلام نفسه، وضرورة الإدلاء بوحدة أمتنا - التي تتمثل فيما تتمثل - في وحدة نظام قياس الزمن وتنظيم جداول التوقيت أمام المجتمع الدولي.

(٣) لا سبيل لنا إلى هذا النوع من التقويم إلا بتسليم جواز دخول العالم بأجمعه في الشهر القمري الجديد بإمكان الرؤية في مكان بأقصى غرب الأرض بشرط أن لا يدخل أقصى شرقها في الشهر الجديد قبل الاقتران في منتصف الليل باستثناء منطقة التوقيت العالمي + ١٤ ساعة حيث شرط لها في الدخول في الشهر الجديد حدوث الاقتران قبل الفجر.

(٤) التحليل السابق ينبهنا إلى وجوب اعتماد خط التاريخ الثابت الذي وضع في المكان نفسه الذي وضع فيه خط التاريخ الدولي الحالي.

المصادر

إيسيم، عبد القادر علي علي، وبلقاسم محمد خليفة الخنجاري، ”وقت الفجر كبداية لليوم والشهر القمري“، موقع <http://www.amastro.ma/articles/art-bmk1.pdf>، (تاريخ الاقتراب ٢٥-٠٢-٢٠٠٨).

ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية، دون مكان النشر: مكتبة ابن تيمية، دت.

ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، بيروت: دار الفكر، ١٤٢١/٢٠٠٠.

ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤/٢٠٠٣.

ابن نجيم، البحر الرائق، بيروت: دار المعرفة، دت.

”إعلان داكار“، المنبثق عن القمة الإسلامية في العاصمة السنغالية ١٣-١٤ مارس ٢٠٠٨، موقع <http://www.oic-oci.org/oicnew/is11/arabic/DAKAR-DEC-11SUMMY-A.pdf> (الاقتراب ٠٦-٠٩-٢٠٠٨).

إلياس، محمد، *The Quest for A Unified Islamic Calendar*، بينانج [Penang]، ماليزيا: برنامج التقويم الإسلامي العالمي، ٢٠٠٠.

إلياس، محمد، *A Modern Guide to Astronomical Calculations of Islamic Calendar*، *Times & Qibla*، كوالا لومبور: برينا بابليشينج [Berita Publishing]، ١٩٨٤.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اليمامة-بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧/١٤٠٧.

الحشاني، محمد عبد القادر، ومنصور محمد أشقفة، ”طريق حساب الشهور القمرية في الجماهيرية“، موقع <http://www.amastro.ma/articles/art-lb2.pdf>، (تاريخ الاقتراب ٢٥-٠٢-٢٠٠٨).

رضا، محمد رشيد، ”إثبات شهر رمضان وبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب“، مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد ٢٨، ٢٩ شعبان ١٣٤٥ هـ / ٣ مارس ١٩٢٧م، ص ٦٣-٧٣، ثم أعيد نشر خلاصته في تفسير المنار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦/٢٠٠٥، ج ٢: ١٥١-١٥٣ عند تفسير آخر آيات الصيام.

الزرقا، مصطفى أحمد، *العقل والفقہ في فهم الحديث النبوي*، دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ١٤٢٣/٢٠٠٣.

الزرقا، مصطفى أحمد، *فتاوى مصطفى الزرقا*، دمشق: دار القلم، ١٤٢٥/٢٠٠٤.

السيواسي، شرح فتح القدير، بيروت: دار الفكر، دت.

شاكر، أحمد محمد، *أوائل الشهور الغربية*، مكتبة ابن تيمية.

الشاطبي، أبو إسحاق، *الموافقات في أصول الأحكام*، بدون مكان النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٤١ هـ.

شرف القضاة، "ثبوت الشهر القمري بين الحديث النبوي والعلم الحديث"، موقع http://www.icoproject.org/pdf/sharaf_1999.pdf (تاريخ الاقتراب ١٦-١٢-٢٠٠٧ م).

شمس الأنوار، *Hisab Bulan Kamariah: Tinjauan Syar'i tentang Awal Ramadan, Syawal dan Zulhijah* (حساب الشهور القمرية: نظرة شرعية حول إثبات أوائل رمضان وشوال وذي الحجة، يوكياكرتا: صوت المحمدية، أبريل ٢٠٠٨).

شمس الأنوار، *Hari Raya dan Problematika Hisab-Rukyat* (الأعياد الإسلامية وإشكاليات الحساب والرؤية، يوكياكرتا: صوت المحمدية، أغسطس ٢٠٠٨).

شخي زاده، *مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨/١٤١٩.

الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠/٢٠٠٠. عودة، محمد شوكت، "برنامج المواقيت الدقيقة ٥:١".

عودة، محمد شوكت، "تطبيقات تكنولوجيا المعلومات لإعداد تقويم هجري عالمي"، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لتوحيد التقويم الإسلامي العالمي، جاكرتا، إندونيسيا، ٤-٦ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧ م الموافق لـ ٢٢-٢٤ شعبان ١٤٢٨ هـ.

عودة، محمد شوكت، "Universal Hejric Calendar (UHC): Eastern Region" منشور في موقع http://www.icoproject.org/uhc_east.html (تاريخ الاقتراب ٢٢-١٢-٢٠٠٧).

القرضاوي، يوسف، *كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط*، هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١/١٤١١.

مسلم، صحيح مسلم، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢/١٤١٢.